المنار
١٣١٥
يبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب
يهدي الله من يشاء ومن يهد الله فما له من مضل ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة ١١ جمادى الثانية سنة ١٣١٨ — ٥ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٠)

الرجال امر المال

الخلاف في ان الاصلاح يتوقف اولاً على الرجال الكاملين او على المال . امانى طلاب المال للاصلاح . وصف ثلاثة نفر من المصلحين . امانى بعض الاغنياء البخلاء في الاصلاح . شبهة وجوابها . تضييع ما ترك السلف . الازهر . مدرسة خليل اغا . الحسينية . المصلحون ما كانوا اغنياء . لوثر . بوكروا شنطون . السيد جمال الدين . السيد احمد خان . وعد مؤكد ومؤجل

قلنا في مقالة سابقة اننا اذا ارتقينا في الاسباب التي تحتاجها الامة لصلاحها وفلاحها ننتهي الى السبب الاخير الذي يجب ان يكون اولاً حتى اذا كان يكون به كل مراد وتوجد به كل رغبة وتحقق به كل امنية وهو الرجال الذين لهم علم صحيح بمصلحة الامة الحقيقية . وممارج ترقيتها الصورية والمعنوية . وعزيمة ماضية وارادة قوية . تبعث على القيام بالاعمال الاجتماعية . والثبات في سبيل المصلحة الملية . لا يصدهم عن ذلك صد . ولا يقفون من سيوف القواطع عند حد .

كتبنا هـذا الرأي وعرضناه على من نذاكرهم ونباحثهم مشافهة فى مسائل الاصلاح الذى تحتاجه الامة فوافقنا فيه بعضهم وارتأى آخرون ان السبب الاول الذى يجب ان يكون قبل كل شيء وبوجوده يوجد كل شيء هو المال . وهذا هو الذى يلهج به الاكثرون من المتكلمين فى الاصلاح والذين توجهوا العمل بزعمهم ولكنهم لم يعملوا لان ايديهم لا تصل الى المال الكافى للقيام بالعمل الذى يتخيلونه ويشبه ان يكون هذا فى الغالب من الاعذار التى يعذر بها الكسالى انفسهم والتعلات التى يتعلل بها المغرورون الذين يصور لهم الوهم انهم من اثمة المصلحين ولكن حيل بينهم وبين مايشتهون . ولو ساعدهم الناس بالاموال . ودانت لهم المصاعب والاهوال . لنهضوا بالامة نهضة الاسد الرئبال . وعملوا من غرائب الاصلاح ما لايخطر على بال . تلك امانيهم واحلامهم . ووساوسهم واوهامهم . وكل من تراه فى بطالة وكسل . او حيرة وغمة لا يهتدي معها للعمل . فاعلم انه ليس من الرجال . ولا تعلق به املاً من الآمال . وان اغدقت عليه سحب الاموال .

نعم ان صاحب العرفان والارادة . عند ما تتوجه نفسه للافادة . يرى ان جلائل الاعمال . انما يستعان عليها بالمال . ولكنه لا يطمع نفسه بالمحال . ولا يطلب بسببه ما لا ينال . وانما يرد اقرب الموارد . ويسلك امثل الطرق . ويدخل البيت من بابه . ويضع الامر فى نصابه . ولقد رأيت مصلحاً حقيقياً طلب مبالغ كبيرة من المال رأى ان الاصلاح يتوقف عليها فاصابها ولكنه لو وجد بضعة رجال على مذهبه لامكنه ان يعمل بهم من الاصلاح اضعاف ما عجزت عنه تلك الالوف من الجنيهات .

واعرف رجلاً آخر محباً للاصلاح اعوزه المال فطلبه من طريقه الطبيعي ولما يصب الملحظ الذي يمكنه مما يريد ولنا الرجاء ان سيصيبه . ويكون منه للاصلاح نصيبه . ومن المصلحين من يعمل بمال قليل يستدره بعمله واذا استعان فانما يستعين بمال ابيه . ومرشده ومربيه . على ان أنفع الاعمال . لا ضرورة فيه للمال . وهو ما يعرفه اهله

ومن الناس من يملك الالوف من الدنانير ويقول آه لو كان لي في السنة عشرون الف جنيه او خمسون الف جنيه لفعلت وفعلت ومنهم من يملك عشرات الالوف ويزعم انها لا تقع موقعاً من كفايته ولو بلغت مئات الالوف لاحيا البلاد . واسعد العباد . فهؤلاء هم الذين يقولون ما لا يفعلون . ويقطعون اعمارهم بالتمنى وربما كانوا لا يشعرون . ومن لا يعمل بالنزر اليسير . لا يعمل بالجم الكثير . على ان المال لدى هؤلاء كثير ولكنهم يبخلون « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » .

ما استغنت امة بعد فقر الا وكان غناها بالرجال فاذا كان المال هو الذي ينتج الرجال الذين ينقذون الامة من شقائها وبلائها وينتشلونها من محنها وفتنها ويرفعونها من ضعتها وسقوطها فمن اين يأتي المال ومن الذي يجيء به ؟ واذا قيل ان الامة مهما ضعفت وتأخرت عن غيرها فلا بد ان يبقى عند افراد منها بقية مما ترك سلفها من الثروة ان كان لها سلف مجيد او مما يكسبه بعض اهل الهمة والنشاط الذين لا يخلو شعب منهم فلتنفق هذه البقية على تربية الرجال الاكفاء الذين يقدرون على القيام بالاصلاح العام وبذلك يكون المال هو الذي يوجد الرجال . نقول في الجواب ان الامة في مثل هذا الطور تكون ثروتها في سفهائها — جهالها

ومصرفيها — الذين لا يسمحون بالمال الا للشهوات البهيمية . واللذات الجسية . ولا تذكر الامراء الظالمين . والحكام الجائرين . الذين يعلمون ان الاصلاح يقضي على فسادهم . ويطهر الارض من بغيهم واستبدادهم فلا يقيمونه بل يقاومونه . ولا يعضدونه ولكن يعضدونه (يقطعونه) فاذا اردت الاستعانة على الاصلاح بأموال اولئك الاغنياء السفهاء الاشحاء فكيف يتسنى لك ان تنفخ روح حب الامة فى قلوبهم وتجعل الايثار مكان الاثرة من نفوسهم ؛ اللهم ان كان يوجد فى الامة من له هذا السلطان على النفوس وهذا التأثير فى الوجدان فاولئك من الرجال الذين يجب ان يكون وجودهم قبل وجود الاموال

واما المال الذى هو بقية مما ترك السلف الصالح فهو أداة ولا بد للاداة من عامل والعمال هم الرجال الكملة الذين قلنا ان الاصلاح لا يوجد الا بهم — هذه اوقافهم على المدارس والاعمال النافعة تؤكل اسرافاً وبدارا . والامة تزداد جهلاً وخساراً . وتباراً ودماراً . ولا تجد لهم من اهل تلك المدارس مصلحين ولا انصاراً . هذا الازهر العظيم الذى تنفق عليه عشرات الالوف من الجنيهات هل تجد للامة رجاء فيمن تربوا فيه واقتصروا على تعليمه بأن يكون نهوضها واصلاح شأنها على ايديهم ام هل سمعت أهله يوماً يذكرون الامة وتقدمها وتأخرها فى درس من دروسهم او مجلس من مجالسهم ؛ اظنك اذا ذكرت واحدا منهم وقلت انه محل الرجاء فانما تذكر ممن لا ينطبق عليه الوصفان المذكور ان آنفا . وهذه مدرسة « خليل آغا » يبلغ ريع اوقافها زهاء عشرة آلاف جنيه ولا يجنى المسلمون من ثمرتها اكثر مما يجنون من سائر المدارس الاهلية التى انشأها فى هذا

العصر بعض الشبان لتكون معاشاً لهم يأكلون من ثمرات ريعها ولا يهمهم أتربى وتعلم من يدخلها ام لا . ولا تنس المدرسة «الحسينية» التي خصصت اوقافها الواسعة بخمسين متعلماً واجرى عليهم وعلى اساتذتهم من الارزاق ما يمكنهم من تحصيل جميع العلوم والفنون الى ان يكونوا من اعظم المعلمين والمرشدين . فلو كانت هذه المدارس تدار بأيدي رجال ممن وصفنا لك لكانت منبع الحياة الطيبة التي يرجوها الباحثون في حال الامة الاجتماعية وما يجب لها من الاصلاح

بيشك راجع تاريخ الاصلاح في الامم والشعوب هل تجد مبدأه الرجال الفقراء ام أصحاب الغنى والثراء هل كان (لوثر) غنياً وهل نشر مذهبه بالمال ؟ وهل استرد (بوكر واشنطون) ساعته التي رهنها لاجل استئجاره من يعلم تلامذة مدرسته شيّ الآجرّ حيث احتاج الى ذلك القسم الصناعي منها ؟ وهل ادى المائة ريال التي اقترضها واشترى بها الارض التي بنى مدرسته فيها فكانت ينبوع حياة السود ؟

وانظر هل كان السيد جمال الدين الافغاني الذي نفخ روحاً اصلاحياً في مصر فسرى في جسم الامة سرياناً لا يزال ينمو ويزداد وكل ما نحن فيه من البحث والسعي فهو اثر من آثاره . وقبس من ناره . وانظر هل كان السيد احمد خان مؤسس كلية عليكده (في الهند) من الموسرين ام كان من المعوزين . فقد سبق الكلام على غير (لوثر) من هؤلاء المصلحين ولتحفن القراء بسيرة غيرهم ولو بعد حين . اذا مد الله في الاجل . وهو الموفق لخير العمل